الفصل الخامس

منزل الدكتور جيكل

وقف المحامي لبرهة بجانب الباب، وقد بدا عليه الشعور بالانزعاج الشديد. وفيما سار بتؤدة مبتعدًا عن المنزل، راح في تفكير عميق: «يا إلهي! إنه لا يكاد يبدو بشرًا.»

انعطف أترسون إلى الزاوية في الجهة المقابلة من مجمع المباني، كانت معظم المباني الموجودة في الشارع مقسمة إلى شقق أو مكاتب. في وقت من الأوقات كانت هذه المنطقة هي محط العائلات الثرية الكبيرة. كانت الكثير من هذه العائلات تمتلك مباني بأكملها، بيد أنه لم يتبق غير منزل واحد مملوك لفرد واحد، ثاني منزل من زاوية الشارع، علاوة على أن هذا المنزل كان آخر شاهد على أمارات الثراء والرفاهية. كانت بوابته الأمامية حديثة الطلاء، وطارقة الباب لامعة وبراقة. كانت جميع المنازل الأخرى متسخة النوافذ مكسورة البوابات، لكن هذا المنزل حظي بعناية ونظافة فائقتين. ارتقى أترسون درجات سلمه الأمامية وقرع الباب. ففتح الباب كبير الخدم الذي كان في كامل الأناقة.

سأل المحامي: «هل الدكتور جيكل بالمنزل يا بول؟»

أجاب بول: «سأرى يا مستر أترسون.» سمح الخادم لمستر أترسون بالدخول ثم ذهب ليبحث عن سيده.

انتظر أترسون في غرفة كبيرة مريحة تدفئها نيران متوهجة بلا غطاء. وكانت هذه الغرفة واحدة من الغرف المفضلة لدى المحامي في لندن بأكملها؛ كانت الغرفة مطلية بألوان قاتمة قوية، وثنايا الستار مصنوعة من القماش القطيفة الأحمر القاني، والأرضيات مغطاة بالسَّجَّاد الفارسي المغزول يدويًّا. وقد ارتصت على الجدران التحف الفنية وأرفف الكتب الممتلئة عن آخرها. أمضى أترسون هنا العديد من الأمسيات بمعية جيكل يتسامران في حديث ممتع هادئ. غير أن مزاج أترسون في هذه الليلة لم يكن يميل

إلى الألفة ولا دفء الصحبة؛ إذ لم يستطع أن ينفض عن ذهنه صورة وجه الوغد مستر هايد.

عاد بول حاملًا خبر أن الدكتور جيكل ليس بالمنزل: «يؤسفني أن أخبرك أنني لا أعرف متى سيعود، فلربما يظل بالخارج بقية الليلة.»

قال أترسون: «لقد رأيت مستر هايد يدخل هذا المبنى من الزاوية الأخرى يا بول، من الباب المجاور للمختبر القديم. هل يصح هذا عندما يكون دكتور جيكل متغيبًا عن المنزل؟»

أجاب الخادم: «مستر هايد لديه مفتاح.»

قال مستر أترسون: «يبدو أن سيدك يثق بمستر هايد ثقة كبيرة.»

رد بول: «نعم يا سيدي، هو يثق به ثقة كبيرة حقًّا. وقد أُمرنا جميعنا بأن نقدم له فروض الولاء والطاعة. ومع ذلك، قلما نراه في هذا الجزء من المنزل، فهو يذهب ويجئ أساسًا من الباب المجاور للمختبر.»

كان دكتور جيكل قد اشترى المنزل قبل سنوات طويلة من طبيب آخر. وكان المالك السابق قد بنى مختبرًا في الجزء الخلفي من المنزل؛ حجرة كبيرة عالية السقف، تصطف فيها الأرفف والدواليب، ولم توجد بها أي نوافذ، مصابيح وفوانيس فحسب على الجدران. وفوق المختبر مكتب حيث يمكن للدكتور جيكل أن يجلس ويعمل في هدوء. وكان المكتب أكثر جاذبية من المختبر، إذ كان به مدفأة، وبعض المقاعد الوثيرة، ونافذة مطلة على المبنى الرئيسي للمنزل، وكان يوجد فناء يفصل ما بين المبنيين. احتفظ الدكتور جيكل بالمختبر كما هو على حاله، فالمختبر هو السبب الرئيسي لشرائه المنزل. ومع أن الدواليب والمعدات كادت تكون من الآثار، فإنها راقت لجيكل. وعادة ما تحدث عن رغبته في أن تحيط به التحف الجميلة، وكان هذا شيئًا مهمًّا في المنزل وفي العمل.

قال أترسون: «أشكرك يا بول على وقتك.» وتساءل تُرى ما رأي بول في مستر هايد بحق؟ كان الخادم شديد الأدب على الدوام، وبالطبع ما كان لينطق بالسوء أبدًا عن الدكتور جيكل. كان أترسون يعرف أن بول شديد الولاء لسيده، بل في الحقيقة كان كل الخدام شديدي الولاء له، فكل من التقى بجيكل اعتبره رجلًا طيبًا ونزيهًا. قال أترسون لبول: «من فضلك أخبر دكتور جيكل أنني عرجت عليه.»

أجاب بول: «بالطبع يا سيدي.» ثم قاد الخادم مستر أترسون إلى الباب الأمامي.

كانت ثمة ريح باردة، لذا ثبت أترسون قبعته بإحدى يديه فيما كان سائرًا في الشارع. وكان غارقًا في التفكير؛ لقد كان المحامي يألف أعضاء المجتمع غير المرغوب

فيهم لأن كثيرين منهم كانوا موكليه. وكان على دراية بالجرائم التي تحدث في المدينة والمجرمين الذين ارتكبوها، غير أنه كان حريصًا كل الحرص على ألا يدعهم يدخلون إلى حياته. فالعمل بالنسبة له هو مجرد عمل، ولم يتركه يؤثر في حياته الشخصية. ولم يتخيل قط أنه يمكن أن يحضر أحد المجرمين إلى منزله. لذا احتار بشدة في السبب الذي دفع جيكل بأن يحضر رجلًا خطيرًا إلى منزله. هل من الممكن ألا يكون صديقه جيكل قد علم بأمر حادثة هايد عندما دهس الطفلة الصغيرة؟ وهل من الممكن ألا يكون جيكل قد أدرك الخطر الذي هو فيه؟ للأسف، كان أترسون يدري أن هذا غير حقيقي، فقد عرف في أعماقه أن جيكل على دراية جيدة بأنشطة هايد غير الشرعية.

تملك القلق فعليًّا من المحامي بشأن صديقه القديم وعلاقته بالسيد هايد. لا بد أن شبح إحدى الخطايا القديمة هو الذي يسجن جيكل. فأي سبب آخر يمكن أن يدفعه إلى التعامل مع أشخاص على شاكلة مستر هايد؟ كانت عائلة جيكل بالغة الثراء، ولطالما عاش حياة ترف على الرغم من دراسته وتجاربه، ودافعه الوحيد للعمل هو أنه يستمتع بالعلم. وأخذ أترسون يفكر في فترة شبابه؛ تُرى هل كان فيها أي شيء شاء أن يتكتمه؟ ولم يستطع أن يجد أي شيء من شأنه أن يُلحق به هذا الخزي أو الشعور بالذنب. وساور أترسون القلق أيضًا من أنه إذا علم هايد بأمر وصية جيكل — أنه من المُزمع أن يرث كل الثروة الهائلة التي يملكها الطبيب — فلعله يفعل شيئًا ما كي يعجل من هذا الأمر. هزّ أترسون رأسه وقال في نفسه: «ليت جيكل يدعني أساعده.» يا له من لغز يصعب حله!

الفصل السادس

دكتور جيكل خالي البال

بعد مرور أسبوعين أقام دكتور جيكل حفل عشاء لمجموعة صغيرة من الأصدقاء القدامى والأعزاء. كان مستر أترسون من بين المدعوين بالطبع، وكان ضيفًا محبوبًا على أي حفل عشاء، وكان موضع ترحيب على نحو خاص في نهاية الأمسية؛ فقد كان يستمتع الضيوف بمزاحه اللاذع وحصافته. كان المحامي يوفر للحاضرين استراحة هادئة بعد حفل عشاء مليء بالأحاديث، وفي هذه الليلة بالأخص حرص أترسون على أن يمكث ريثما يرحل الجميع، لذا وقف بجوار المدفأة إلى أن غادر كل الحضور.

جلس دكتور جيكل على مقعد مقابل أترسون. وقد كان رجلًا في الخمسين من عمره ضخم البنية يتمتع بوافر الصحة وبوجه عذب. وقد اعتاد أن يدير الحوارات والمناقشات بطريقة مثيرة. غير أنه في الآونة الأخيرة آثر أن ينصت إلى الآخرين في هدوء. وطيلة العام السابق أو نحو ذلك، ازداد جيكل جفاءً؛ إذ صار أكثر فتورًا وانعزالًا. ظن البعض أنه بدا أكثر نزوعًا إلى إدانة الآخرين، وانتقدوه كلما غاب عن إحدى المناسبات الاجتماعية أو حفلات العشاء. وعليه ازداد جيكل انعزالًا. وعادة ما علق أصدقاؤه على أنهم نادرًا ما يرونه. في وقت من الأوقات كانوا يرونه مرة كل أسبوع، لكن الآن عادة ما تمر الشهور العديدة دون أن يُرى. غير أنه في تلك الليلة بدا جيكل كسابق عهده؛ إذ ارتسمت على شفتيه ابتسامته العذبة فيما كان يتحدث إلى أترسون. جلسا يحتسيان الشاي إلى جانب المدفأة.

استهل أترسون الحديث قائلًا: «كنت أرغب في التحدث إليك يا جيكل بشأن الوصية.»

أجاب جيكل: «عزيزي أترسون المسكين، لم أر قط شخصًا منزعجًا قدر انزعاجك عندما رأيت هذه الوصية، خلا صديقنا العزيز لانيون عندما اعترض على نظرياتي المبنية

على أسس غير علمية. ولا أود أن أقول لك ما نعت به نظرياتي غير العلمية. إنه زميل رائع، لكنني لم يخب أملي في أي إنسان أكثر مما خاب أملي فيه.»

استأنف أترسون كلامه إذ قرر أن يتجاهل مناورة جيكل من أجل تغيير الموضوع: «أنت تعرف أنني لم أوافق قط على هذه الوصية.»

رد جيكل بنبرة بها شيء من الحدة: «وصيتي؟ أجل بالطبع، أدرك هذا. لقد أخبرتني بذلك.» وقد اندهش أترسون لدى ردة فعل جيكل الغاضبة.

قال أترسون: «حسنًا، ولسوف أخبرك بهذا من جديد.» كان أترسون مصممًا على أن يناقش هذا الموضوع مع جيكل. فهو موضوع في غاية الأهمية، فقال: «لقد علمت بأحد الأمور عن مستر هايد.»

شحب وجه جيكل الكبير الوسيم وقال: «لا أبالي بسماع المزيد. أظن أننا اتفقنا على ألا نتطرق إلى هذا الموضوع.»

قال أترسون: «ما سمعته كان رهيبًا.» وشعر أترسون بالانزعاج لتدخله في شئون جيكل، فهذا ليس من عادته. فقد كان أترسون محاميًا ذائع الصيت بين أعضاء بعينهم في المجتمع لِما عُرف عنه بأنه لا يطرح الكثير من الأسئلة، فهو يتابع عمله دون أن يتعمق في حياة موكليه أو أفعالهم. غير أن جيكل كان أكثر من مجرد موكل، لقد كان أقدم وأعز صديق لأترسون. وأدرك أترسون أنه لا بد من أن يتابع موضوع هايد وإلا لن يسامح نفسه أبدًا.

أجاب الطبيب: «لن أعدل عن رأيي، أنت لا تعي موقفي. إنه موقف غاية في الغرابة، غاية في الغرابة حقًّا.»

قال أترسون: «جيكل، أنت تعرفني، أنا رجل جدير بالثقة. ضع حدًّا لهذا الموضوع وأخبرني بكل شيء.»

قال جيكل: «عزيزي أترسون، هذا لطف منك، ولا يسعني سوى أن أشكرك على كرم أخلاقك. أنا أثق بك أكثر من أي إنسان على وجه الأرض — بل أكثر من نفسي — لكن ما بيدي حيلة في هذا الموضوع. لكن لكي يطمئن قلبك، بمقدوري أن أتخلص من هايد متى شئت.» واعتدل جيكل في جلسته، ونظر إلى صديقه في عينيه. وبدت نظرته العنيفة مألوفة لأترسون فأخذ يتساءل تُرى أين رأى هذه النظرة من قبل.

مال أترسون إلى الأمام في مقعده وقال: «إذا كنت تستطيع أن تتخلص من هايد في أي لحظة، إذن أتوسل إليك أن تفعل هذا الآن.» وحاول أن يظل صوته هادئًا لكن

كان من العسير عليه أن يخفي مخاوفه: «أرجوك يا جيكل، لا مفر من أن تقطع علاقتك بهايد.»

قال جيكل: «أشكرك على مخاوفك، لكن تذكر أن هذه مسألة خاصة. من فضلك دعك من هذا الأمر.»

حول أترسون عينيه إلى المدفأة، وفكر هنيهة ثم قال أخيرًا: «ليس لدي أي شك في أنك على حق تمامًا.» وخلص أترسون إلى أنه ما بيده حيلة، وعليه أن يثق في صديقه في هذه المسألة، فنهض كي يرحل.

أضاف جيكل: «ثمة أمر واحد أتمنى أن تتفهمه، أنا مهتم للغاية بأمر هايد، مهتم بأمره إلى حد بعيد. لقد أخبرني أنكما التقيتما بالقرب من باب المختبر قبل أسبوعين، أخشى أنه كان وقحًا معك، أتأسف لك بشدة عن هذا. أعرف أنه رجل صعب المراس، لكنني أريدك أن تعدني بأنك سوف تلتزم بشروط الوصية. إذا مت — أو اختفيت — من فضلك تأكد من أن يستلم هايد ما هو حقه شرعًا. سيهنأ بالي إن قطعت لي وعدًا.»

أجاب أترسون: «لا يمكنني التظاهر أنه سوف يروق لي أبدًا.» وتساءل أترسون هل بمقدوره أن يسترد صديقه، وتساءل أيضًا هل استسلم جيكل لهايد تمامًا الآن.

قال جيكل مترجيًا: «لا أطلب منك هذا، كل ما أطلبه هو العدل. أسألك فقط أن تساعده من أجلي، عندما أختفي.»

تنهد أترسون تنهيدة عميقة وقال: «أعدك.»

الفصل السابع

اغتيال كارو

حدث بعد زهاء العام أن جريمة بشعة روعت لندن بأكملها؛ إذ اغتيل السياسي المعروف مستر دانفرز كارو، وكانت التفاصيل المعروفة عن الحادث قليلة ومرعبة؛ كانت إحدى الخادمات بمنزل دكتور جيكل قد ذهبت إلى غرفة نومها نحو الساعة الحادية عشرة، وكانت غرفتها مُطلة على ممشى انعكس عليه ضوء البدر فأضاءه إضاءة كاملة، جلست الخادمة في الشرفة بعض الوقت تتأمل المنظر الجميل. أخبرت الخادمة الشرطة فيما بعد أنها كانت أصفى ليلة شهدتها في حياتها، إلى أن وقعت عيناها على رجلين في الممشى.

لاحظت الخادمة كهلًا يسير أولًا عبر الدرب، وكان الكهل أنيق الملابس وينسدل شعره الأبيض الجميل على مؤخرة عنقه. واستطاعت أن ترى وجهه بوضوح في ضوء القمر الساطع، بدا لها الكهل وسيمًا طيبًا. وعندئذ إذا برجل آخر ضئيل الحجم يرتدي معطفًا كبيرًا وقبعة داكنة اللون يسير باتجاهه. وفيما اقترب أحدهما من الآخر انحنى الرجل الكهل للرجل الثاني. ظنت الخادمة أن الكهل كان يسأل عن الطريق، إذ كان ممسكًا بورقة أشار بها إلى الممشى. ولأنها رأت وجهه بوضوح، لاحظت أنه هادئ وغاية في المرح، بل ضحك أيضًا. عندئذ لمحت وجه مستر هايد الذي عرفته أنه هو الزائر الذي يتردد أحيانًا على سيدها. كان هايد ممسكًا بعكاز ثقيل في يده يؤرجحه إلى جانبه. وإذ بهايد يرفع العكاز على حين غرة، فتراجع الرجل الكهل خطوة للوراء، لكن هذا لم يجد نفعًا. شاهدت الخادمة في فزع هايد وهو يهوي بالعكاز على الرجل الكهل الذي خرّ على الأرض.

فقدت الخادمة الوعي، وعندما أفاقت بعد مضي بضع ساعات، هرعت إلى الشرطة كي تبلغ عن واقعة الاغتيال، فاستجابت الشرطة على الفور. في بادئ الأمر لم يعرفوا اسم الضحية، غير أنهم عثروا على خطاب في ملابسه. وكان هذا الخطاب موجهًا إلى

السيد أترسون. أيقظت الشرطة السيد أترسون في منتصف الليل كي يتعرف على صاحب الجثة.

ذهب أترسون بمعية الشرطة إلى المستشفى حيث ترقد الجثة، وكانت الفكرة الأولى التي طرأت على ذهنه هي أن دكتور جيكل قد قُتل، فكان شديد التوتر ومرعوبًا من أجل صاحبه. احتاج الأمر إلى قدر هائل من الشجاعة حتى يستطيع أترسون أن يستجمع قوته وينظر إلى الجثة. ولم يكن يدري كيف سيكون موقفه إن اتضح أنه دكتور جيكل. قال أترسون: «لقد عرفته، يؤسفني أن أقول إنه السير دانفرز كارو.»

أجاب ضابط الشرطة: «مستحيل! ستُنشر هذه الجريمة في كافة الجرائد الصباحية.» ثم هزّ رأسه في ذهول واسترسل قائلًا: «سيدي، نرجو أيضًا أن يكون لديك بعض المعلومات عن الجاني.» عندئذ أخبره الضابط بالقصة التي روتها الخادمة عندما انهال مستر هايد على كارو بعكازه.

اندهش أترسون بشدة مما سمع وقال: «هايد، هل قلت هايد؟» لقد أذهله أن هايد كان على علاقة بشخص آخر هو يعرفه أيضًا، ولا سيما شخص مثل سير دانفرز كارو. لقد كان مترقبًا أن يكون هايد قد ألحق الضرر — بل قتل — دكتور جيكل، وليس كارو. تساءل أترسون: أليس هناك من هو بمأمن من خطر مستر هايد؟ بدا المحامي في حالة انزعاج شديد.

أجاب ضابط الشرطة: «أجل يا سيدي، لقد استخدم هذا العكاز سلاحًا للجريمة.» وسلم الضابط العكاز إلى أترسون. لهث المحامي، فقد تعرف على العكاز الذي أعطاه هدية إلى دكتور جيكل منذ بضع سنوات. لا بد أن جيكل أعطاه إلى هايد، أو أن هايد سرقه. لم يأت أترسون على ذكر هذه الحقيقة أمام الشرطة. كان يعرف أنه بهذا الصنيع يخفي أحد الأدلة، لكنه يخشى على صديقه، وأراد أن يتحدث إلى دكتور جيكل أولًا.

ومع ذلك، ثمة مسألة مهمة أخرى في تلك الأثناء؛ لا بد من العثور على هايد والقبض عليه. وعرف أترسون أين يجده؛ فقد كان لا يزال يحتفظ بالبطاقة الخاصة بالرجل الغريب في محفظته.

قال أترسون وهو يهزّ رأسه أسفًا: «إذا أتيت معي، يمكنني أن أدلك على شقة مستر هايد.»

الفصل الثامن

شقة مستر هايد

اصطحب أترسون الشرطة إلى شقة هايد في حي سوهو. في تلك الأثناء كانت الساعة قد بلغت التاسعة صباحًا. وكانت الشوارع مكتظة بالناس، أما الشارع الذي يقطنه هايد فقد كان مليئًا بالمتاجر المغلقة والمباني المتهالكة. ووقف بأعتاب الأبواب الأطفال يرتدون الأسمال البالية، وكان الشحاذون يشحذون في زاوية الشارع. تعجب أترسون مرة أخرى كيف يمكن لدكتور جيكل أن يلتقي رجلًا من هذه المنطقة. ذكره هذا أيضًا كم لا بد أن يكون هايد راغبًا في أن يرث ثروة جيكل، فبالطبع سيتيح له هذا فرصة الانتقال بعيدًا عن سوهو.

قرع أحد ضباط الشرطة الباب، ففتحت الباب امرأة يغطي الشيب شعرها وملأت التجاعيد وجهها الجامد. سأل الشرطي هل هذا منزل مستر إدوارد هايد. أجابت المرأة بأن هذا منزله لكنه غير موجود.

قالت المرأة: «إنه لا يمكث هنا دائمًا، في الواقع، كانت البارحة هي أول ليلة أراه فيها منذ أشهر.» وكانت المرأة مرتبكة من مجيء الشرطة. ماذا عساهم يريدون من مستر هايد؟ واستنتجت المرأة أن ثمة شيئًا مثيرًا قد حدث. لعل هايد ارتكب جريمة. ولم تنتظر المرأة حتى تسمع التفاصيل، فقد بدأت بالفعل تحدد ما الذي ستقصه على مسامع جيرانها. أضافت المرأة: «غير أنه مكث هنا قرابة ساعة واحدة فحسب.»

سأل أترسون: «أيمكننا أن نرى شقته؟»

نظرت المرأة إلى المحامي — ورجال الشرطة من ورائه — وقادتهم داخل المبنى وقالت: «لطالما شككت أن هذا الرجل سوف يسبب المتاعب. ماذا فعل؟»

تبادل أترسون ورجال الشرطة النظرات، لكنهم لم ينبسوا ببنت شفة، ثم تبعوا المرأة لأعلى إلى شقة هايد. اندهش أترسون من الدفء الشديد الذي تتميز به شقة هايد؛

اتسمت الشقة بالذوق العالي والفخامة البالغة، فقد ملأت التحف الفنية الجدران ورف المدفأة، وميز أترسون العديد من أعمال الفنانين وأدرك أن اللوحات كانت باهظة الثمن. رأى أترسون أن دكتور جيكل ساعد في تزيين المكان، فهو يفهم الفن جيدًا، وكان السجّاد يدوي الصنع. والستائر مصنوعة من القماش الثقيل الداكن. لاحظ أترسون أيضًا الأطباق الخزفية والكريستال في أنحاء الشقة. وما كان ليتخيل قط أن هايد من نوعية الأشخاص الذين يمكن أن يستخدموا مثل هذه الأطباق.

كانت الشقة في حالة من الفوضى، الملابس مبعثرة على الأرض، والأدراج مفتوحة ومقلوبة، ورماد الأوراق المحترقة مؤخرًا تملأ المدفأة. تفقد رجال الشرطة البقايا وعثروا على جزء من دفتر شيكات. ومن حسن الحظ أنهم تمكنوا من قراءة معلومات الحساب. فقد كان اسم «مستر إدوارد هايد» مكتوبًا بوضوح.

قال أحد ضباط الشرطة: «هذا سوف يقودنا إليه. لدينا كل المعلومات المصرفية هنا، بمقدورنا أن نكمن له ونباغته عندما يحاول أن يسحب المال.»

تعجب أترسون وقال بصوت مرتفع: «من اللامبالاة الشديدة أن يترك هذه المعلومات وراءه.» ومع أنه التقى مستر هايد مرة واحدة فحسب، فإنه لا يظن أنه من نوعية الأشخاص كثيري النسيان على هذا النحو. بدا هايد مراوغًا للغاية عندما التقيا. فكر أترسون في نفسه: «لا بد أنه كان في عجالة شديدة.»

هزّ ضابط الشرطة كتفيه وقال: «المهم هو أننا تمكنا منه، لن يفلت مستر هايد من أيدينا.» كانت الشرطة على قناعة من أن القضية كادت تنتهي في الحال. وتوقعت أن هايد قطعًا سيكون طريح السجن في اليوم التالي.

قال أترسون: «أتمنى أن تكون على صواب. لن يسعدني شيء أكثر من أن أرى نهاية مستر إدوارد هايد.»

الفصل التاسع

حادثة الخطاب

ذهب مستر أترسون بعدئذ في مساء ذلك اليوم إلى دكتور جيكل. أدخله بول وقاده عبر الفناء إلى المختبر. قال بول: «لا يشعر دكتور جيكل أنه على ما يرام اليوم. وهو يؤثر الجلوس في هدوء المختبر.»

سأل أترسون: «هل أنت متأكد من أنه على استعداد أن يلتقي زوارًا؟» فنادرًا ما كان جيكل يقابل أحدًا في تلك الأيام، وقد اندهش المحامي من أنه سيراه وهو مريض.

أجاب بول: «لقد أخبرني دكتور جيكل أنه إذا عرجت عليه، فلا بد أن أقودك إليه في الحال، أما أي شخص آخر سواك فلا بد أن أصرفه.»

لم ينهض دكتور جيكل كي يستقبل زائره، وإنما ظل جالسًا بجانب المدفأة يبدو مريضًا للغاية.

قال أترسون ما إن تركهما بول: «لقد سمعت الخبر.»

ارتجف الطبيب وقال: «كان أول شيء تناهى إلى مسامعي هذا الصباح، وقد شاع في كل أنحاء لندن.» أغمض جيكل عينيه هنيهة ثم استرسل قائلًا: «جاءت الشرطة هذا الصباح لتسأل ماذا أعرف عن هايد.»

قال أترسون: «أنا أسألك هذا السؤال بصفتي محاميك وصديقك. أنت لست مجنونًا حتى تتستر عليه، أليس كذلك؟»

قال جيكل: «أترسون، أقسم بالله.» ثم بكى واسترسل: «أقسم بالله إنني لن أرى هايد مرة أخرى. لقد انتهى كل شيء. وحتى أكون أمينًا، هو ليس في حاجة إلى مساعدتي. أنت لا تعرفه كما أعرفه أنا يا أترسون. انتبه إلى ما أقوله: لن تأتي أي أخبار منه مرة أخرى.»

قال أترسون: «تبدو واثقًا للغاية. أتمنى أن تكون على صواب. من واجبي أن أنبهك أنه إذا عُقدت محاكمة، فسيُزج باسمك فيها.»

نكس دكتور جيكل رأسه. وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يقول: «أنا واثق بشدة من أنه رحل. لقد تسلمت خطابًا منه، ولا أعرف هل يجدر بي أن أسلمه للشرطة. أؤثر أن أتركه لك وأدعك تقرر ماذا تفعل به. أنا أثق بك تمامًا.»

سأل أترسون: «هل يستبد بك القلق من أن يكشف الخطاب عن مكان هايد؟» إذ حيره سبب تفكير جيكل في إخفاء الدليل، هل كان لا يزال يتستر على هايد؟

رد جيكل: «لا، لا أكترث لمصير هايد الآن. لقد قطعت علاقتي به تمامًا.»

انزعج أترسون بشدة من تصرف صديقه حتى إنه بدا مستاءً للغاية. لقد كان لمقتل سير دانفرز وقع بالغ على الدكتور جيكل. لا بد أنه يشعر بالذنب لأنه هو من جلب هايد إلى هذه المنطقة. قال أترسون: «ربما يجدر بك أن تريني الخطاب.»

كان الخطاب مكتوبًا باليد بحروف مستقيمة غريبة، وبدا الخط حادًّا وسيئًا. كان مكتوبًا ببساطة ووضوح أن دكتور جيكل، ولي نعمته العطوف، لا ينبغي أن يقلق لأنه هرب. لقد رحل عن المدينة ولن يرجع ثانية. أثلجت الرسالة صدر أترسون للغاية، فيا له من أمر باعث على الراحة أن يعرف أن هايد قد رحل! قال أترسون: «هل لي أن أرى المظروف؟»

أجاب جيكل: «لقد حرقته. فقد كنت مشوش التفكير، ومع ذلك هذا ليس بالشيء المهم، إذ لم يكن هناك ختم بريدي. ما كانت الشرطة لتقتفي أثره. لقد سُلمت الرسالة باليد صبيحة اليوم.»

سأل أترسون: «هل لي أن أحتفظ بهذا الخطاب وأفكر ماذا سأفعل؟»

أمسك جيكل رأسه بيده وقال: «أنا أترك الأمر برمته لك. لقد فقدت الثقة في قدرتي على الحكم على الأمور.»

قال أترسون: «أخبرني يا جيكل: هل كانت الشروط الغريبة المنصوص عليها في وصيتك التي تجعل من هايد الوريث الوحيد لكل ثروتك في حال الموت أو الاختفاء، هي جميعها من بنات أفكاره؟»

هزّ جيكل رأسه بتؤدة.

تعجب أترسون قائلًا: «كنت متأكدًا! لقد قصد أن يقتلك.»

هزّ جيكل رأسه مرة أخرى وقال: «الأمر ليس كذلك يا أترسون. لا يمكنني أن أشرحه لك، لقد كان أمرًا بيني وبين هايد، لا يمكن أن يعرفه أحد غيرنا. ولن يعلمه أي

إنسان آخر البتة. لكنني تعلمت درسًا! ويا له من درس!» ثم وضع رأسه بين يديه مرة أخرى وبكى.

قال أترسون بنبرة رقيقة إذ لم يشأ أن يزعج صديقه أكثر من ذلك: «ثمة شيء آخر يا جيكل؛ هل لديك أدنى فكرة عن سبب ارتكاب هايد لجريمته؟ هل كان هذا بغرض السرقة أم أن لديه أسبابًا أخرى؟»

لم يرفع جيكل رأسه من بين يديه وقال بصوت مكتوم: «لا، ليس لدي أدنى فكرة.»

فيما كان أترسون في طريقه للخارج وقف ليتحدث إلى بول: «لقد جاء خطاب اليوم، صف لي شكل الرسول الذي سلمه؟ أود أن أعثر على الشخص الذي سلمه.»

أجاب بول: «أنا متأسف سيدي، لم نتسلم أي مراسلات اليوم.»

اندهش أترسون مما سمع. لا بد أن الخطاب جاء عن طريق باب المختبر الذي اعتاد هايد أن يستخدمه. من الغريب أن يجيب جيكل الباب بنفسه وهو في هذه الحالة الذهنية. ذكر الطبيب أنه تسلم الخطاب بعد زيارة الشرطة له. لعل الرسالة كُتبت في المكتب، إن كان الأمر كذلك، فهذا يعني أن هايد كان بمعية جيكل عندما كتبها. لكن هذا قد يعني أن جيكل كذب عليه. إذا كان جيكل راغبًا في أن يضع ثقته بالمحامي في أمر الرسالة، لماذا لا يضع ثقته به بقول الحقيقة؟ ترك أترسون منزل جيكل وهو في حيرة من أمره ممتلئًا بالمخاوف.

الفصل العاشر

أترسون يفحص الخطاب

شق أترسون طريقه إلى مكتبه. كانت كل الأحاديث التي تدور في الشوارع — بل في المدينة بأكملها بشأن هذا الأمر — حول مقتل سير دانفرز كارو. فجأة أصبح الجميع على دراية باسم إدوارد هايد. لقد كان عسيرًا على أترسون أن يتفجع على شخص فيما هو يستبد به القلق على شخص آخر. كان عقله غارقًا في الأسئلة والمخاوف. غشي الضباب المدينة، فلم يعد بمقدور أي شخص أن يرى من مكانه الزاوية المقابلة. بدت لندن مثل حساء رمادي ثخين. رأى أترسون أن هذا المناخ يعبر عن مزاجه؛ إذ لم يعد شيئًا واضحًا البتة، وهو لا يفهم أي شيء.

أظهر مساعد أترسون، مستر جست، تعاطفه حالما دخل المحامي من الباب.

قال جست: «يا لشناعة ما ألم بالسير دانفرز!»

أجاب أترسون: «نعم، إنه أمر بغيض بحق. هذا الذي يُدعى هايد مجنون بلا شك.»

تشارك كل من أترسون وجست العديد من الأسرار؛ فطبيعة عملهما اقتضت وجود قدر هائل من الثقة بينهما، وقد ناقشا بالفعل مسألة «هايد» وعلاقته بدكتور جيكل، وكان جست قد شارك أترسون العمل في إنهاء إجراءات الوصية الغريبة. وتمنى المحامي أن يجد عند جست وجهة نظر مختلفة بشأن الخطاب. وأخبر مساعده بشأن زيارته لدكتور جيكل والرسالة التي تركها هايد.

قال أترسون: «بحوزتي ورقة الآن مكتوبة بخط يد القاتل.»

قال جست: «هل لي أن ألقي نظرة عليها؟»

أجاب أترسون: «رجوت أن تسدي إلي نصيحة من نصائحك الفنية المخضرمة.» فقد درس جست فن كتابة اليد؛ إذ اعتقد اعتقادًا شديدًا في أن خط اليد يُنبئ بالكثير عن

صاحبه. سلم أترسون الخطاب إلى جست وقال له: «ماذا يمكنك أن تخبرني عن هذا المدعو مستر هايد؟»

أمضى جست وقتًا طويلًا في فحص الرسالة، وأخيرًا رفع رأسه من فوق المكتب وقال: «حسنًا، سيدي، لا أظنه مجنونًا، لكن بلا شك هذا نمط كتابة غريب.»

قطع الساعي حديثهما حيث وضع المراسلات الصباحية على مكتب جست ثم غادر. بدأ أترسون يفرز الخطابات.

قال جست: «سيدي، هل هذا خطاب من دكتور جيكل؟» أجاب أترسون بأنه كذلك. فتعجب جست قائلًا: «لقد ظننت ذلك، لقد عرفته من خط اليد. هل هذا جواب شخصي؟»

فتحه أترسون في عجالة إذ أربكته أسئلة مساعده المثيرة، وقال: «لا. إنها دعوة عشاء.»

سأله جست: «هل تمانع إذا ألقيت نظرة عليه بالمثل؟»

وضع المساعد الورقتين جنبًا إلى جنب على المكتب، وفحص كليهما بعض الوقت.

سأل أترسون: «لماذا تقارنهما؟» وكان يساوره الفضول والضجر معًا من تصرفات مساعده.

أجاب الموظف: «حسنًا يا سيدي، ثمة الكثير من التشابه بينهما. من جوانب عدة كلا النمطين متطابق. كل ما هناك أن هناك اختلافًا في الميل.»

قال أترسون: «هذا غريب!»

قال المساعد: «بل غاية في الغرابة يا سيدي.» وتبادل الرجلان النظرات، ولم يكونا على يقين ماذا يعني كل هذا، لكنهما كان على دراية بأنه أمر خطير.

قال أترسون: «لن أخبر بشأن هذه الورقة كما تعلم.»

رد جست: «لا يا سيدي. أتفهَّم الأمر.»

في تلك الليلة وضع أترسون الورقة في خزنته بالمنزل، إذ رأى أنه من الأفضل ألا تقع في أيدي أي شخص آخر. فكر أترسون: «ما ظننت قط أنه يمكن أبدًا أن يزور هنري جيكل ورقة من أجل قاتل!» ارتعدت فرائص أترسون.

الفصل الحادي عشر

حادثة دكتور لانيون الغريبة

عرض البوليس تقديم مكافأة تبلغ آلاف الجنيهات لمن يعثر على قاتل سير دانفرز كارو. غير أن مستر هايد لم يُعثر عليه في أي مكان، وكأنه قد اختفى من وجه الكرة الأرضية. لم يلمحه أي شخص منذ ليلة الجريمة المروعة. غير أن هايد بات حديث المدينة بلا شك. وفي كل زاوية شارع ومكتب ومنزل كان الناس يتناقلون الحكايات الشريرة التي تروي وحشيته وأفعاله الشريرة، وكانت كل حكاية أشنع من سابقتها.

رأى أترسون أن هذه قضية وحشية أكثر من غيرها. لكن الأمر المثير للغرابة، أن مقتل رجل ما، سير دانفرز، نجم عنه انتعاش معنويات رجل آخر؛ فقد خرج دكتور جيكل من مكمنه، وأخذ يلتقي الأصدقاء القدامى مرة أخرى، ويقيم الحفلات في منزله ويحضر المناسبات الاجتماعية. لاحظ أترسون أيضًا أن جيكل بات أكثر تدينًا؛ فطالما كان الطبيب رجلًا خيريًّا، لكنه فجأة بات أكثر انشغالًا بالصلوات وحضور الكنيسة. بدا جيكل طيلة شهرين يتمتع بوافر الصحة والسعادة. وعلق كثيرون على أنه كم يبدو هانئ البال وفي حالة سلام.

أُقيم حفل العشاء الذي أُعلن عنه في الدعوة اللافتة للنظر في الثامن من يناير/كانون الثاني. وكان كل من مستر أترسون ودكتور لانيون من بين المدعوين، ولاحظ كلاهما السعادة الغامرة على وجه مُضيفهما طيلة الأمسية. وكان من الجلي أنه سُر بأن يقضي الأمسية مع اثنين من أقدم أصدقائه، قطعًا كان يذكر متى كان ثلاثتهم أفضل أصدقاء. شعر أترسون بسعادة مألوفة له، لقد كان على قناعة بأن الحياة عادت لمجراها.

غير أنه في الثاني عشر من يناير/كانون الثاني — وأيضًا في الرابع عشر من نفس الشهر — أُغلق باب دكتور جيكل أمام الزوار. وفي كلتا الليلتين عرج عليه أترسون بدون سابق إخطار، وأخبره بول أن الطبيب لا يرغب في رؤية أحد، وعندما صُرف أيضًا في

الخامس عشر من نفس الشهر، بدأ القلق يستبد بأترسون. لقد عاد جيكل إلى عادته القديمة في الاختفاء. وتذكر أترسون الأيام التي كان يسيطر فيها هايد على صديقه. غير أن هذه المرة كانت أسوأ، إذ لم يكن من المألوف أن ينعزل تمامًا. قرر أترسون أن يزور دكتور لانيون. فلعل الطبيب الطيب يقدم له نصيحة ما.

أُدخل أترسون إلى حجرة دكتور لانيون. وصُدم مما وجد؛ ثمة مكروه ألّم بلانيون، فقد كان شاحبًا وعليلًا وبدا كأنما على شفا الموت، لقد بدا لانيون وكأنه تقدم في العمر ثلاثين عامًا طيلة الأسبوع منذ أن رآه أترسون آخر مرة.

قال أترسون فيما اقترب من صديقه: «يا إلهي، يا لانيون!» ثم انحنى إلى جانب مقعد صديقه وأمسك بيده. وكان أترسون قد جاء بغرض إنقاذ أحد الأصدقاء، وقد صدمه التفكير في أنه قد يضطر أن يقلق من أجل إنقاذ صديقين وليس واحدًا. قال أترسون: «ما الذي اعتراك؟ كيف صرت عليلًا هكذا؟»

هزّ لانيون رأسه وقال: «لا. أنا لست عليلًا. لقد صُدمت صدمة عنيفة، لكنها ستكون نهايتي. إن أيامي معدودة.»

سأله أترسون: «جيكل مريض أيضًا. هل رأيته؟»

عبس وجه لانيون ثم رفع يده وهي ترتجف وقال في صوت مرتفع ومهتز: «لا أود أن أرى جيكل مرة أخرى أو أسمع اسمه. لقد ضقت ذرعًا به. هو ميت بالنسبة لي الآن.»

قال أترسون: «أوف!» وبعد فترة انقطاع طويلة عن الكلام، تساءل هل بمقدوره فعل أي شيء، ثم قال مترجيًا: «نحن ثلاثة أصدقاء قدامى، وليس في مقدور المرء أن يستغني عن صديق قديم عزيز.»

أجاب لانيون: «لا يمكن فعل أي شيء. اسأله بنفسك إذا كنت بحاجة إلى فهم المزيد.»

أجاب المحامي: «لن يقبل أن يقابلني.»

قال لانيون: «لست مندهشًا. لعلك تفهم يومًا ما يا أترسون بعد موتي بعضًا من تفاصيل هذه القصة. لا يمكنني أن أخبرك، فهي قصة مزعجة أيما إزعاج. في نفس الوقت، إذا كنت تريد أن تمكث وتتحدث في مواضيع أخرى، فعلى الرحب والسعة. أما إذا كنت مصرًّا على مناقشة قضية دكتور جيكل، إذن لا مفر من أن أطلب منك أن ترحل لتوك.»

مكث أترسون مع صديقه، وتحدثا حول الأيام الخوالي وكل الأصدقاء المشتركين بينهما فيما خلا دكتور جيكل. وبعد بضع ساعات ودع المحامي صديقه وتركه وحده.

الفصل الثاني عشر

خطاب من دكتور لانيون

حالما عاد أترسون إلى منزله كتب خطابًا إلى دكتور جيكل يعبر فيه عن استيائه بسبب صرفه مرارًا وتكرارًا وعن قلقه بشأن صحة جيكل. وسأل أيضًا عن سبب النهاية المأساوية لعلاقته بلانيون. وشعر المحامي بالإحباط الشديد وكان في حيرة شديدة من أمره.

جاء الرد في اليوم التالي في خطاب مطول ومحير في بعض من أجزائه. استهل جيكل خطابه بقوله إن القطيعة بينه وبين لانيون هي للأبد، كتب جيكل: «لا ألومه بالطبع. لكنني أوافق على أننا لا يجدر بنا أن نتحدث إلى الأبد. في واقع الأمر، أنوي أن أعيش حياة العزلة من اليوم فصاعدًا. أرجوك لا تنجرح أو تنزعج إذا أُغلق بابي حتى في وجهك أنت يا أترسون. هكذا لا بد أن يكون الأمر. لقد جلبت هذا العقاب على نفسي. إذا كنت أكبر الخطائين، فأنا أيضًا أكبر المُعذَّبين؛ فحتى ذلك الحين لم يكن لدي أدنى فكرة أن الحياة يمكنها أن تحمل مثل هذا الشجن. يا أترسون إذا كنت تأمل أن تخفف من ألمي بأي شكل من الأشكال، فأرجوك احترم صمتي.»

ذُهل أترسون، فلقد ولى وزال شر مستر هايد وتأثيره منذ زمن طويل. فقبل أسبوع فحسب، كان جيكل سليمًا وسعيدًا وفي طريقه إلى قضاء فترة شيخوخة هانئة. فلقد عادا إلى عادتهما في تناول العشاء وقضاء الأمسيات معًا إلى جانب المدفأة. وقد علق أصدقاء آخرون على معنويات جيكل المرتفعة. وكان أترسون قد اعتقد أن خطر هايد قد ولى وزال. ما الذي عساه أن يحدث خلال فترة وجيزة؟ وبعد مرور فترة لم تتجاوز الأسبوعين، قضى دكتور لانيون نحبه.

كانت الكنيسة مليئة بالمُعزين إذ كان للدكتور لانيون العديد من الأصدقاء. وكان الجميع مذهولًا من السرعة التي مات بها. وحده أترسون هو الذي رأى قرب النهاية.